غَيْهَبُ رُوحْ

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022/3/1462)

813.03

رحال ، اسلام أمين

غيمب روح / اسلام أمين رحال ،-عمان: المؤلف ، 2022

( )ص .

ر.أ : 2022/3/1462

الواصفات : /الروايات العربية//الأدب العربي//العصر الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

غَيْهَبُ رُوحْ

ميمي..

لطالما ناديتُكِ بهذا الإسم وأُصرّ على ياء التملّك ولم أعرِب عن سببي في حبّه الذي يصف روحي بك .

لطالما كان الميم فيك هو ملكي وتملّكي وملاكي وامتلاكي ومملكتي وكلّ أملاكي.

أحبّك..

أهجرتني طفلاً خائفًا بين الزّحامِ

فلا تعُد سائلاً إن كنت على ما يرامُ

أحييتَ ميتًا لأعوامٍ ثمّ أمتّه

والموتُ باتت حياةً لهُ في المنَامِ

أبِتّ حربًا وأمتّ مسلِمًا بعد السّلام

بكلّ قصيدةٍ أرى البيضَ فيّ قتّالةً

ومَن في قتيلِ الرّوح قد يُلام

أيكون الوطنُ يومًا غربتِي

وإن كان غربةً فأين باتت الأوطان

وفي غيهبِ الغسقِ ازددتُ لوعةً

وكلّ دواخلي باتت في ظلام..

إهداء . .

إلى فراشتي الصفراء، من ألهمتني ألمًا لأرتسِم كل هذه الحروف ، ومَن صنعت بي مجرّد تائهٍ في طرقات الشّعر يبحث عن أي حرفٍ يواسيه ودموعه كانت ذاك الحِبر الذي لم ينفذ .

إليكِ يا من أبحرتِ معي وتركتني بمركبي في منتصف العاصفة لأتلاطم بين أمواج المحيط، يا من خنتِ العهود والوعود والبعد والقرب والوجود، يا من كنتِ وطني وعالمي واليوم تركتِني وحيدًا بغربتي .

أحببتك رغم الغياب كما أحببتُ ابنتنا نيلوفر قبل أن تُخلق حتّى أُحبك...!،

رسالة...

أولاً أعتذِرُ لكل من يقرأ هذا الكتاب عن كل الفوضى والبعثرةِ الّتي تركتها به فما هو سوى نِتاج ليلةٍ مظلمةٍ في روحي.

كل ما فعلته هو أنّني جمعت حروفي وذكرياتي الّتي مرّت بداخلي باختناق ووضعتها بهذا الكتاب الذي ستبقى حروفه بداخلي لتحرقني ما دمتُ حيًا ...

وثانياً : أعتذرُ لكِ ميمي فقد قتلتِ طفلًا بداخلي لطالما كنتِ له أُمًّا فصنعتِ منه روحًا سوداء داخلها يحترق ولا ينطفئ .

ما أكرهه فيكِ أنّني وبرغم كل ما فعلتِ بي ما زلت أحبّك، ما زلتُ مغرمًا بكِ ولا أقوى على كُرهك ولا المضيّ دون التّفكير فيكِ ولا النّوم دون مخاطبة صورِكِ والتّحدّث لها مطولًا.

ستُدركين متأخّرةً ما فعلتِ ...

مقــدّمة . .

أمَضى!

كلّ ما كان وقد انقضى

أباحَ عتابًا علينا.!

أم علينا فقد ارتضى ؟

لطالما كان مجرّد التفكير في غيابك أمرًا مرعبًا لي، بل وكان يُشعِرني بالإختناق حتّى الموت .

أخبرتُك ذات مرّةٍ ألّا تسمحي لي بالبكاء وأنا معك، خاطبتُك وأنا كلّي ألمٌ وضعف من قسوتِك عليّ في لحظتها لم أحتمِل أن أراكِ تعامليني بتِلك القسوة .

أخبرتُك أنّك سلامي ومأمني وحضني الدافي ورجوتُكِ ألّا تتركيني أتعذّب وأنا معك، لقد كان حِضنك هو موطني وكوني وعالمي وملجئي ومهربي ومسكني وعُدت لأرجوكِ بأن لا تدعيني أبكي ولا تؤذني بالمكان الوحيد الذي أُحِسّ فيه بالأمان وهو معك.

لطالما كُنت أكتب عنكِ حبًا وأحاول وصفكِ وكانت تعجز حروفي بأن تفيَكِ حقّك من الوصف، والآن فها أنا أكتُب للهروب من ألمي ومن حرقتي بسببِك، أكتُب علّني أتخطّاك ولو قليلًا .

فالآن كلّ الأبجديّة عاجزةٌ في وصفِ الألم الذي أشعر به، وعاجزة عن وصفِ الحطام الذي يملئ عالمي ودواخلي وعاجزةٌ أمام التّعبير ورسم

بضع ملامح من الصورة الحقيقية لذاك الكيانِ الميّت المتهالكِ الذي تركتِه ملقًى بداخلي بين الأنقاض .

حوَّلتِ عالمًا كاملًا بداخلي كان مزهراً بحضورك إلى مدينةٍ من الخرابِ أزِقّتها سوداءُ مُظلمة تملؤها الوحشة والألم، صرخاتٌ تعلوا من كلّ مكانٍ كلّما سمعها ذاك الذي بداخلي أصابه الفزع والسّكون حتى أجهش بالبكاء ثم تفيض عيناهُ ليسقطَ أرضًا وهو يتمنّى الموت ألف مرّة لينتهي هذا الألم، تغطّي سماه سحبٌ سوداءُ حالِكة يرجوا بأن تُمطِر علّها تغسل جرحه وتطفئ ناره .

منتصفُ شهر آب ۲۰۲۰

أنتِ قهوتي مِن دونِ هاء

أنتِ جنّتي وما بينَ ضلوعكِ نعيم

أيا داءً أصابني ولُقاكِ كان دواء

أيا أُغنيّتي والغين أُبدِلت بميم

أيا برد روحي ويا دفئ الشّتاء

أيا وطنًا بات يسكنني وأنا فيه أُقيم

لطالما كنتُ مُحترقًا بذاتي، أصارع الموت والموتُ يصارعني أرجوه بأن يحلّ وما زالَ يرفِضني.

أيا ليتني بتّ ذكرى لهُم وماضٍ بعد يومٍ ما عادَ إنسٌ يذكرني .

أذكُرُ أنّني كنت محطمًا غريقًا، بداخلي مدينةٌ مُظلمةٌ جرداء أقامت حِدادها على ذاتها وتلفحني نارٌ من الألم،

في حالةٍ من الضياع أبكي على ذاتي ورفاتي حتّى حللتِ فأزهرتِني وأزهرتِ بي لنعزِف معاً سمفونيّةً حيّةً بأقلامنا وحروفنا ذاتَ مرّة :

-ارتسمي حروفك معي !

الآن ؟

-نعم ..

سأحاول ...

بلسمي وضياء روحي حين انطفأت،
أنتَ هديّةٌ من الأقدار لا عينٌ مثلها رأت .

أصمتُ لثوانٍ وآخذ نفسًا عميقًا لأستجمع حروفي وأبجديتي .

-أنتِ حرفٌ فيه بيوت الشّعر ابتدئت
أنتِ عشقٌ وارّوح بفرقاكِ قد أبت
أيا سكينةً لها قد هدأت
احتلالٌ والرّوح بمُحتلّها قد نجت

قد تبسّم الثّغرُ إذ بإسمك قد نطق
ويحسدُ الفؤاد كلّ شخصٍ منك قد اقترب

-كيانٌ للسّلام فيكِ قد عُتِق
غزلٌ فيك ما أدركتهُ عجمٌ ولا عرَب

ويأبى القلبُ غيركَ عاشقًا
وتأبى الرّوح غيرك مؤنسًا

وتأبى العينُ رؤية غيركَ فارسًا

-وتأبى الجّوارح غيركِ رِفقًا
وتحيدُ الرّوح عمّن سِواكِ إنسًا
أيا من عشِقت وفيكِ من العشقِ حِرصًا

والشّوقُ قد قيّد أضلعي
والدّمع لا يفارق مُقلتي
ما بال قلبي ما بال عقلي
لم تفارقني يومًا من مخيلتي

-أراكِ في المنام في مضجعي
ففيكِ ارتسمتُ مسرّتي
قلبًا مغرمًا عنكِ لا يتوبُ
وما أبتغي يومًا فيكِ توبتي

قد تعِبت النجوم من مواساتي
بأن الوقتفي لقيا المحبوب آتِ

ألا ليتَ الوقت يمضي
وأكون لك وتكون لي

-أيا كلّ مَرَّةٍ في الحبّ ومرّات
أيا كوني وعالمي ومجرّاتي
أيا كلّ جنون فيه القلبُ يُفضي
وكلّ أبجدٍ فيه مُبتلي ... أحبّك

وأنا أحبّك ..!

هويتُك كما لو أنني وجدتُ العالم والحياة بيقربِك وبين تفاصيلك حتّى أدمنت حضورك وحديثك.

أمِنت وآمنتُ فيكِ حتّى شعرتُ أنّ الله قد جعل من نصيبي عوضًا قد أرسله لي بِك، فتتلاشى كلّ الأحزان الّتي بداخلي فتُزهر أرضي الجرداء وتُضيء ليلتي الظّلماء وترتوي بكِ روحي الظمأى، فكُنتِ لي جبرًا لطالما انتظرته لتستفيق روحي الّتي طال سباتها وغرقها بعُمقِ الخوف والضعفْ.

روحي الّتي لطالما كانت أسيرة أفكاري المتلاطمة والمتعاقبة مجهولة المصير بطريقها الضبابي تائهةً تبحثُ عن ملاذٍ آمنٍ لتُلملمَ ما تبقّى من أحلامها المتناثرة وأشلائها المُبعثرة وآخر بقايا وفُتات الشّغف الّذي لطالما كان يملؤُها.

أنتِ الّتي داويتِ جراح هذه الرّوح التي لطالما كانت الحياة تنهش بها .

أطِل على من رآك كوكبًا في الهوى

فمَن سواك أيا عالمي يُهتوى

كم ظمئتُ وأنتَ الّذي

شفى لاعج الشّوق وبهِ ارتوى

السابع عشرَ من شباط...

مضتْ شهورُ طويلة أرهقني بها الشّوقُ والخوف عليك الّذي لطالما كان يلازمني ولم أتمكن من الإطمئنان عليكِ رُغم وفاة والدِك رحمه الله .

أشعر بأن الحواجز التي بنوها من حولنا لم تكن لمنعنا، بل لقتلنا ببطئ وتركِ أفئدتنا تحترق حتّى تختنق ألمًا.

ما عادت روحي تحتملُ غيابك بعد وأعلم أن اقترابي منكِ قد يؤذيكِ ولكنّ هذا الغياب يقتلُ كلّ شيء ويترك روحي تحتضر، أنا محاصرٌ بين ألفِ نارٍ تشتعل وتلتهم كل ما هو بداخلي .

أُلملِم شتاتي وأجمع ما تبقّى من قوّتي وتقودني خطواتي إليكِ وكلّ خطوةٍ بألف بلاد وكلّما اقتربتُ يزداد ثِقل داخلي حتى وصلتُكِ وقلبي يخفِق بقوّةٍ ويضربُ بجدار صدري طلبًا للخروج واحتضانك لتطفئ ناره ..

-ميمي !

لقد ماتت..

لم أتيتَ الآن للسؤالِ عنها؟ أم أنّك قد مللت!

-اشتقتُ لكِ ملاكي..

لم يكُن لي وسيلة للوصول وكنتُ خائفًا إن حاولتُ والإقترابُ منكِ بأن يؤذوكِ ..

أتعلمُ أنّ أبي قد توفّى ؟

-رحمه الله ... نعم أعلم وحاولت يومها الإطمئنان عليكِ من خلال صديقتك ولم يجدي ذلك نفعًا!

لا تهمني أعذارك، ولا تعتقد بأنني أجيبك الآن لأنني ما زلتُ أنتظرك.

لقد انتهيت، أريد إيقاف هذا الشيء .

-أي شيء !

سيهون كلّ شيء وسيعوضني الله على مقدار الألم الذي أحسست به، ولا تعتقِد بأنّني حزينةٌ على شيء فبالعكسِ تمامًا فأنا الآن أقوى بكثيرٍ من السّابق وها أنا أتخطّى كلّ شيءٍ بسهولة.

ثمّ انّني لا أحاسب أحدًا على نواياه، فكلّهم أخبروني وقاموا بنصحي ولكنّني لم أستمع لهم واستمررتُ بكلّ شيءٍ معك ودعوتُ الله أن يبارك لنا ! وكيفً له ان يبارك لنا بما هو خاطئ منذ البداية .

أطلب منه أن يجمع بيننا بالحلال وأنا منذ الأساس لا أعرف نواياك..! انا حقًا لا أعرفُك.

-لم تكُن نيّتي معك وتجاهك إلّا بكلّ خير ولم تكُن نظرتي لكِ يومًا بنظرة سوء .!

إذا أتيتَ لنعود معًا فلا تحاول حتّى فلن أعود معك، ولو أنّك كنت تحبني حقًا لم تكُن لتعلّقني بك بهذه الطريقة وأنت تعرفُ كيف ستكون النهاية،

فلو أحببتني لم تكُن لتعدَني كذبًا بأحلامٍ وأوهامٍ وأنت تعلمُ بأنني كنت أحلمُ فقط ولن يتحقّق أي شيء.

-لم أقُم بإيهامك ولا الكذبِ عليك، وما زِلتُ عندَ وعودي وما زلتُ ساعيًا لكلّ شيءٍ بيننا .

كل شيءٍ كان واضحًا منذُ البداية ولكنني لطالما كنتُ أتغافل دائمًا .

-ليس هنالك أيّ شيءٍ واضح، فما زلتُ عند وعودي ولم أنسكِ يومًا ولم أنسى كلّ أحلامَنا .

دعنا ننهي كلّ شيءٍ بوِد..

لا أريد الإستمرار فلهذا السبب انقلبت حياتي رأسًا على عقِب.

-أصمتُ وأترُك دموعي حبيسة جفوني لتُثقل عليها وتقتلني أكثر فأكثر...

أتيتُ للاطمئنانِ عليكِ، فلا حاجة لي بأكثر من ذلك .

والقرار عائدٌ لك فليست أوّل مرّة تتخذينه فافعلي ما تريدين، وأمّا بالنسبة لي سأبقى مثل ما أنى باقيًا على عهدي .

أنا دائمًا بخير .

سأخبرك بشيء، واعتبرها نصيحةً أخيرةً أو أي شيء .

أنا شخصٌ كلّي أخطاء ولن أثقِل عليك، درسٌ وتعلمته ليس لشيءٍ وإنّما لا أريد لأيّ إنسانٍ أن يمرّ بالّذي مررتُ به .

لا أعلم ما الذي بينك وبين الله فلربّما أنت أقرب إليه منّي حتّى ولكن لا تستمر بهذا الشيء واستمع لي وكُن قريبًا من والديك وإخواتك فقط .

أنا لن أعود ولو سمحتَ لا تعُد لمحادثتي بعد اليوم ولا تضع أيّ شيءٍ يخصّني في حروفك.

-قتلني كلّ شيء، أخبريني كيف لي بأن أكون بقربك وهم يستمرون بإبعادك عني وكيف تنتهي كلّ هذه الوعود التي قطعناها معًا وكلّ الأحلام التي ارتسمناها وعالمنا والكونُ الذي صنعناه وكان يحتوينا .

كيان

أنا لم أعد أحبّك.

-أتقولينها من قلبِك !

نعم، لم أعُد احبّك وكلّ شيءٍ قد انتهى.

أهدأ للحظاتٍ ويقتلني الصّمتُ وأختنقُ بحروفي الّتي بدأت تحترق بداخلي حتّى سقطتُ باكيًا وبداخلي ألف صرخةٍ وألم أحاول البوح بها علّها تريح ذاك الكيان الذي يحترِقُ بداخلي ويحاول لفظ أنفاسه فيعجز عنها، لأدخُل في صدمةٍ تُعيد كل الكونِ الّذي بنيته بداخلي لحطامٍ فيشتعل بناره حتّى صار رمادًا.

فأراني بداخلي أركض ومن خلفي إعصارٌ يلتهمُ كل ما بداخلي ويتناثر رمادُ روحي المحترقة، وأصواتُ صرخاتٍ بداخلي تخترقُ لبّ مسمعي فأكادُ أجن، حتّى سُحبت فيه وقذفني لألفِ عامٍ من الألم .

أستفيق من غيبوبتي لأكون ملقًى على جانبِ الرّصيف مغطًّا بأوراقِ روحي الّتي تساقطت،أنظر من حولي فأرى كل ما بداخلي مجرّد ركامٍ وأنقاضٍ لأبكي عليها فأحاول الوقوف، مُنهكٌ ويقتلني الإرهاق .

ما زلتُ أشعر بالنّار تلتهمُ جسدي وتحرقه فلا أقوى على الصّمود لأسقط مجددًا فأظلّ طريح الأرضِ وأحاول جاهدًا أن أتمالك نفسي لأجلسَ وأستمر بصمتٍ وغرق بذاتي وكلّ ما حولي ...

أيا وطنًا بكيتُ في حضنه بأمسي

واليوم رحلتَ وفي غربتي أبكيتني

أهان عليكَ فِراق من يهواك

يا من بحبٍ خالدٍ وعَدتني

فأوهمتني بكلّ السّلام فأمّنتكَ

حتّى أتيت لظلمتي أخرجتني ...فظلمتني

أحييتَ ميتًا ليعيش جسدًا بروحٍ قتيلةٍ

داويتَ جرحًا وطيبّته ومن ثمّ قتلتني

يا من كُنت لداخلي وروحي قوّةً

فغدوتَ لي مهلكًا فهدمتني

أيا من أقسَمت أن تكون عوضًا عمّا أصابني.... فهجرتني

أيا ليتنِي كنتُ ميتًا قبل ما كذبتَ وعاهدتني..!

أصمُت للحظاتٍ اخاطبُ ذاتي فبدأت الحروف تتناقل بيني وبيني :

-مُرهقٌ واريد الكتابة ومبادلة الحروف ...

هيّا إذًا

-ما فيّ سوى صرخاتٍ تقتلُ كلّ ما بداخلي، حُطامٌ يسكنني وغيمةٌ سوداء حالكة تغطّي سمائي ...

أوتعلمُ أن الكُتمان يُرهِق القلب ! إن أردت البوح فها أنا ذا أستمع إليكْ .

-وما يزيد إرهاقي أنني أدمنت الكُتمان، حتّى بتّ أخفي الحديث وأُسرّه في نفسي مِن نفسي وعن نفسي .

وكيف ستخرُج من هذه المحنة ؟ بابتلاع الأسى ؟

-الكتمان لم يقتصِر على بوح الحروف والكلمات،بل وبات يقتصر على الدموعِ أيضًا ... كيف يكون من السهلِ للمرء أن يقطع عهدًا ويخلفه ؟ كيف لهم أن يتركونا بأوهامٍ لأعوام ومن ثمّ يهون عليهم الرحيل !

إذًا أنت حزينٌ بسببِ أحدهم !

-أحدهم ! لطالما كان هو جميعهم وكلّهم وأوّلهم وآخرهم ووحيدهم بداخلي ...

لا أعلم كيف للمرء أن يغادر تاركًا نفسه قابعةً فينا، علينا أن نعي أيضّا أننا وبطريقة ما سنُساق لمَن يُزهر أرواحنا في نهاية المطاف.

-ولو كانوا هم من أزهروا أرواحنا من بعدِ مَن أحرقوها من قبلهم ؟ رأوها محترقةً فأزهروها ليحرقوها من جديد !! لمَ لمْ يتركوها مُحترقةً منذ البداية؟

أعتقدُ أنّ الجواب يكمُن في خوافقِهم .

-كيف ذلك؟

أولئك الّذين لا يأبهون بما يحويه الطرف الآخر من مشاعر حتّى، أولئك الذين يسيرون نحو مشاعرهم فقط ومزاجهم .

-وماذا عن مشاعرنا التي استُهلِكت وقلوبنا التي بات يملؤها الخوف والرّعب ؟

يكمن الآن عليكَ أن تحفظ ما تبقّى من قلبِك، انهض بنفسِك ولا تنتظَر يدًا ممدودة، تجاوزها وإن كلّفك ذلك شرخاً في ظهرِك ما حييت ... عليك أن تغادر ما غادرك !

-من السهلِ مغادرة المكان الذي نسكنُ فيه، ولكن كيف نغادِر ما يسكن فينا ؟

قلتُ لك، ولو كلّفك ذلك شرخًا في ظهرك غادر .

-وليكُن ذاك الشرخ في قلبي إن كان سيمكنني من ذلك !

ليكُن، وعليكَ أن تطيّبه بيداك المهجورة ...لملِم شتات نفسِك واسأل الله القوّة الكافية للنهوض واسأله جبرًا هائلاً لقلبك المنهك.

-يا رب..

أُكمل مسيري على قارعةالطريق، يتلاطم موج داخلي وأترنّح مُنهكًا علّني ألتقط أنفاسي، أسيرُ كطفلٍ تائهٍ أضاع أمه خائفًا من كلّ ما حوله ينظرُ لكلّ الوجوه التي تمرّ به علّه يلقاها ليُلقي روحه في حضنها فتفيض دموعه وتسقُط كلّ الهموم التي تُثقل بداخله .

ما زلتُ غارقًا بأفكاري وكلّ سؤالٍ يقتلني دون إجابةٍ له وأحاول الوصول...

- الوصول! الوصول إلى أين ؟

إليها، لأخبرها بكلّ ما أصابني اليوم وأشكوا لها ألمي وضعف روحي وقلبي .

-هل جُنِنت! وكيف تهربُ منها إليها ؟

آخذ نفسًا عميقًا فأصمت وأختنق بحروفي لأبكي وبداخلي أصرخ ألمًا فأشعرُ كما لو أنّ روحي تحتضِر وتكاد تنفصِل عن جسدي.

-يا ليتها تفعلُ ذلك .

كيف هان عليها أذيّتي وأنا الذي ظننتها أرقّ على قلبي منّي !

كيف يكون لها أن تنسى ونحنُ من ارتسمنا عالمنا معًا واخترنا اسماءً لطفلين بعدُ لم يخلقا ؟

كيف كان لكلّ هذه القسوة أن تظلّ مختبئةً خلف كل ذاك السلام الذي أبصرته فيها من قَبل !!

أشعر بكلّ الفوضى التي بروحي تقتلني وتحرق روحي وكلّ الضجيج الّذي أسمعه بداخلي ويؤرقني، ألستِ من وعدتني وعلّقتِني فأغويتِني بكلّ السلام فملكتِني فتركتِني هائمًا بحب تفاصيلك وعيناكِ وكلّما حلّ بنا صمتًا ألهمتِني، أيا من رُغمَ كلّ الخوفِ أمّلتِني ويا من كنتِ لِي حياةً فقتلتنِي.

بكائِي المُفضّل

وصوت صمتي، وصمت صياحي

أيا مرّ حلوي، وحلوَ أمرّ الأمرّين عليّ

أيا احتلالًا كان بي وكلّ اجتياحي

كم فقدتُ فيكِ من تفاصيلٍ

لطالما سَكَنَت بي وفيّ وكنتِ ارتياحي

واليوم ما عاد لنا مركِبٌ يجمعنا

فأبحِري كما شئتِ وذريني غريقًا

وخُذي بسيفي كفاني بما طعنتِنِي

وكفا بجسدي ما خرقتِه برماحي

وكفا وكفا وكفا

بي ألمًا فقلبي قد اكتفى

كم كان حبنا عظيمًا

واليوم تقولين أنّه قد اختفى

كمْ كتبتُ فيك مِن بيتِ شعرٍ

وكل حرفٍ في وصفك قد اقتفى

قد كُنتُ في أمسي ميتًا

وفي حضورك الفؤاد قد اشتفى

فعُدتِ ها أنتِ أمَتِّني

أيا ليتَ فؤادَك بموتي قد احتفى..

أخبِري من حولَك أنّهم قد انتصروا

وأنّ الكون بداخلي قد انهدم

قد كنتُ فيكِ سالمًا وآمنًا

وها أنا الآن في غيابك لفي عدم

أيا شفائي ونوري وضيائي

أيا عِتمتي وموتي وأشدَّ سقَم

أيَا ثأرًا لي فبات بي

أنا القتيلُ وأنا الّذي منه يُنتَقَم

أيا عادلًا إلّا في وفائك لي

فكيف بمن أحب عادلًا قد انظلم

أيا جَرحًا لطالما قمتُ بكيّه

فأحرقني والجُّرحُ ما التأم

بينما أنا أسيرٌ بذاتي وأسير وصلتُ فبلغتُ غمامةَ المصير , أمصيرٌ ضياعي في الدّجى ,أم أنّ الضّياع رأسُ قلمٍ في المصير .؟

أحِيرُ وتحير وكيف لا تحير وأحير !

زِرّ الزّيرُ من عودِك فلا بذاتِك تزير , فلا تبطش بذاتك في الملا , فكُن مَلِكاً استزار وزير .

نقِف عند ألف نقطةٍ وسطرٍ , نفقِد أنفسنا فنرى أننا نفقِدها , تتلاشى لتعود فتموت وتُولد من جديد فتحيا فتُبتّل فتُعيد وتزيد .

نقصّ القصصَ بداخلنا، نطمعُ بالسّلامِ فنحصِد القلق.. فنعيشُ الحُطامَ وأرواحنا في غرق ،فأرقٌ على أرقْ ومن ذا الّذي يحزَنُ إذ اتّسق، وأنا الّذي جسده عن روحه حيًا قد افترق،أيا نارًا لطالما لمستُ بردها.. واليوم كياني بنارِكَ قد احترق..أيا وطنًا منّي قد انسرق! هل اغترق؟ جسدي بأنفاسي في زفيره بعد ما شهَق! أم أنّه قد مات كُتمانًا بحروفه حتّى اختنَق...!

أنا مُثقلٌ بكلّ الآلام

أنا الضّائع السجين

مقطوع الوتين

جرح السّنين

ودمعُ الأيّام

قتيل الماضي

وحكم القاضي

وقلبٌ راضٍ

بحكم الإعدام

وإن عادت بعد موتي باكيةً لا تردّوها

ولا تقسوا عليها ولو أنّها فرِحت في مماتي

وخذوها رِفقًا فحُبًا وحضنًا سلامًا فآووها

ولا تذروها تذرِف دمعًا على ذكرياتي

خائنتي هي ومعشوقتي

ومُلهمتي في الغزل وحتّى حزن أبياتي

ما كان للفؤادِ حملًا بأن يقسوا عليها

ولو أنّها قست وحطّمت بي فتاتي

في جنازتي..، وفي بيتِ أجري وبعد وفاتي

عدّوها رحمًا وصلوا إليها وصلوها

واذكروها كما ذكرتها في دعائي وصلاتي

ولو لم يكُن لها علمٌ بي فخبّروها

مات بدنياه حبًا فيكِ ومنكِ

واليوم كان ملكُ الموت لأخذه آتِ

لا تقسوا عليها واحموها

وفي كلّ خيرٍ فأمّنوا عليها وائتمنوها

وإن أمرت بأرضٍ فإن لها أرضي فتبنوها

ولا تنقصوا شيئًا من قدرها وزيدوها

وكل حروفي الّتي خططتُ بها فاتلوها

واتلوا عليها سلامًا مني لها ومِن ذاتِي .

مُرهقٌ والنومُ لا يُجدي نفعًا دعيني أخلُد إليكِ..

أستلقي على فراشي وقلبي يخفِق بألمْ، صداعٌ يضرِب برأسي حتّى يكاد ينفجر وتمتلئ عيناي بدموعٍ تأبى السّقوط، فيا ليتها تفيض لأرتاحَ ولو قليلاً.

تمتلئ الأفكار بداخلي ويبدأ شريط الذكريات بالمرور حاملًا كلّ الحروف التي تبادلناها، اللّحظات التي لطالما قضيناها معًا فيرتسِم طيفَك في خيالي بكلّ الأماني التي لطالما حلمنا بها وذاك المنزِلِ البسيط الّذي بنيناه معًا بلوحاته وطيوره التي تُغرّد لحنًا لتزيده في الحياة حياة .

ضحكاتٌ تجمعنا وسلامٌ ونعيم وطفلتنا نيلوفر الّتي لم تُخلق بعد وهي تلهو بحديقة منزلنا .

أو حتّى ذاك الكوخ الخشبيّ الصّغير المُطلّ على شاطئ البحر الذي بنيناه في عالمنا وكنّا نهرب ونلجأ إليه باستمرار، حيث كنّا نلتقي فنتعانق ونعتزِل العالم ونحن معًا بعد أن نسير على أطراف رمالِ الشاطئ وأنا ممسكٌ بيدكِ كما لو أنّني أُمسِك بكلّ الأمان الّذي في هذا العالم لنقِفَ وأضيعُ وأسبح في الخيالِ متأملًا تفاصيلَكِ الآسرة وملامحك الطفولية والشّامة في عينكِ اليمنى التي لطالما ازددتِ بها جمالًا...

بدأتُ أبكي وكلّ تلك الذكريات تزيدُ اختناقي وشوقي إليكِ وأنا مُنهارٌ وأشعرُ بنارٍ تحرقُ كل ما بداخلي ويتصاعد الدّخان لتختنق به روحي .

أحاول إغماض عيناي علّها تستريح ولو قليلًا ولكنّني أزدادُ ألمًا.

بدأت أفقِد شغفي وكل قوّتي التي لم تنطفئ يومًا منذ أوّلِ لقاءٍ لنا، فبات كلّ ما بداخلي يتلاشى ويحتضِرْ، أشعرُ بموتِ أجزاءٍ من روحي شيئًا فشيئًا.

بعدَ كلّ ذاك الشّوق والغياب

وأنا الّذي ظننتُ أنّك ما زلتَ تنتظرَني

حتّى رأيتُ أنّك لم تعُد لتضرَّني

كَم وصفتُك في حروفي حين سكنتني

وأنتَ الّذي أحييتني فقتلتني

علّمتك حمل السيوف وضربها

وبحدّ ذات السيف قتلتني

مضت ساعات على صمتي وبدء كتابة كل هذه الحروف بكلّ بعثرتها، كلّ ما يُثقل داخلي قمت بكتابته وارتسامه.

أعتقد أنّ ما كتبته اليوم يكفي فيكون كتابًا صغيرًا ليشهد على الحربِ التي أقمتها بداخلي ونارها التي لن تخمُد وحرقتي الّتي لن تبرد ولو أتى من بعدك كل البشر،..كتابًا قمت بخطّه بيومٍ واحد، وحروفه بداخلي أشبه بأشواكٍ غُرست بروحي لتتركني أموت ببطئ.

لقد أنهِكت، وبتّ مرهقًا وكلّ ما بروحي يتلاشى شيئًا فشيئًا .

لا أعلم ما السّبب الحقيقي الذي دفعكِ لفعلِ ذلك بي لكنّك آلمتِني كثيرًا بل وقتلتني،وقتلتِ جزءًا بداخلي لن يعيش بعد اليوم ليترُك وقعًا وصمتُا بداخلي يذكّرني بألّا أثِق بأحد.

كُوني بخيرٍ لك ولذاتِك

لطيفي الّذي قد هام حتى في فُتاتِك

لقلبي الذي لطالما كان مغرمًا

بلحنِ صوتكِ و حتّى نغماتِك

لكلّ البيوت التي حاولت فيها وصفكِ

ولكل حرفٍ ارتسمته لكِ في حياتك

لكلّ ليلٍ سهرناه معًا

ولكلّ لحظةٍ سكنتِني بذاتك

أيا جاهلًا وعالمًا أن غيابك ع روحي ذنبٌ، فما بكَ عن الذّنبِ لا تعودُ.

ورغم كلّ ما جرى ما زلت عالقًا بك وأحبك ...